13 me Année No. 540

Lundi - 8 - 10 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

مشـــقة التحصيل

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

منذ ربع قرن تقريباً ، زارني شاب في جريدة الأخبار وشكا إليّ المرحوم شوقي الشاعر وقال : إنه ذهب إليه يستشيره فيما يحسن به أن يقرأ من الكتب العربية ، فأشار شوقي عليه بدرس كتابين وجدهما الشاب من كتب النحو وفقه اللغة ، فاعتقد أنه أضاع ماله ، وأن شوقي أخطأه التوفيق . فقلت له : إن شوقي لم يخطئ ، فإن النحو والصرف وما يجري هذا المجرى لا بد منه ، ولا غنى عنه ، ولكل لغة قواعدها وأصولها وأحكامها وفقهها ، والإحاطة بهذا كله واجبة إذا كنت تريد أن تتخذ هذه اللغة أداة للكتابة ، وإلا فكيف تكتبها وأنت لا تعرف قواعدها ؟ وصحيح أن الكتب العربية القديمة تحتاج إلى تيسير مطلبها ، ولكن التيسير ليس معناه الإلغاء ، فاعرف لغتك أولا ، وادرس أدبها ، ثم عالج بعد ذلك ما شئت من فنون الكتابة ، واعلم أنه لا مطمع لأحد في بلوغ مرتبة ملحوظة من مراتب الأدب إلا بالاطلاع الواقي ، ولما كانت لغتنا العربية ، فهي أداتنا التي لا أداة لنا سواها ، ولا سبيل لنا إلى البيان إلا بها ، فلا مهرب لنا إذن من تحصيل هذه اللغة والتوفر على درسها

وقد حدثت شوقي — رحمه الله — بهذا ، فقد كنا نلتقي في « الأخبار » ، ونتذاكر على الرغم من رأي المعروف في شعره ، فقال لي : يا أخي لقد كنت في بداية عهدي بالشعر ، بعد أن عدت من أوربة ، ألحن وأخطئ فيسلقني الناقدون بألسنة حديدة ، فالآن أنصح للشبان المبتدئين أن يعرفوا لغتهم فيشكوني ويعيبوني بذلك !

وقد قلت أيضاً لذلك الشاب المتذمر : إني لا أرى الاقتصار على درس اللغة العربية وآدابها ، فإنه لا يكفي طالب الأدب ، بل لا بد من التوفر على درس الآداب الأخرى ، ولا سيما الغربية منها . وحسب طالب الأدب لغة واحدة كالإنجليزية مثلا ، فإن براعات الآداب الأخرى مترجمة إليها ، وقد كان العرب حصيفين حين عنوا بنقل الفلسفة الإغريقية فاتسعت آفاقهم . ولسنا نستطيع في عصرنا هذا أن ننقل خارجيات الغرب في الأدب والفلسفة ، فإنها شيء لا آخر له ، ولكن في وسعنا أن نطلع عليها ونلم بها إلماماً كافياً بإحدى اللغات الغربية ، ونحن نلقح الشجر ليثمر ، ونطعمه ليؤتينا ما هو أطيب ، ويجنينا ما هو أشهى ، فلنلقح عقولنا ولنطعمها بما عند الغرب ، ليعود أوفر إنتاجاً وأحلى جنى . ونحن آدميون ، والشجر نبات ؛ ولكن سنة الحياة واحدة ، وقانونها لا يختلف ، وهو واحد في كل مظاهر الحياة على السواء ، وما

يصير به النبات أقوى وأزكى ، يصير بمثله الحيوان — ونحن منه — أقدر على معاناة الحياة وأصلح لها وأنجب . وليس مما يصح في الأفهام أن نكون في القرن العشرين ، ونقنع بأن نعيش بعقول القرون الخالية . وأخلق بهذا الكسل أن يحيلنا خلقاً — متخلفاً من الأزمنة البائدة ، وأن يجعلنا غير صالحين للزمان الذي خرجنا فيه

وأنا أعرف أن في هذا مشقة عظيمة ، ولكن الثواب على قدرها ، والحياة نفسها لا متعة ولا نزهة ، بل كد ونضال وكفاح وما يبلغ المرء في دنياه غاية أو يدرك شيئاً إلا بالكفاح وعرق الجبين المتفصد ، فلما ذا نستثني الأدب ونراه أهون شأناً وأيسر مطلباً من أن يحتاج إلى عناء ؟

وليعذرني القراء الأفاضل إذا رأوني ألح على شبابنا أن يعكفوا على التحصيل ويجدوا فيه ويشقوا أيضاً ، فقد رأيت شباناً كثيرين في مصر أكبر ظني أن لهم أنداداً في غيرها يستثقلون الطلب ويستطيلون مدته ويستكثرون الجهد الذي يقتضيه ويستخفون بالأمر كله ويحاولون أن يرقوا بغير سلم ، وأن يبلغوا الغاية بدون أداة أو وسيلة ، فلا يأتون إلا بأغث الثمالة وأسخف السخف ، ثم يروحون يتذمرون ويجأرون بالشكوى ويزعمون أنهم مغبونون مغموطو الأقدار ، وأن الشيوخ يأخذون عليهم متوجههم ويعترضون سبيلهم حسداً ، إلى آخر هذا الهراء . وتقول لهم : إن كل علم وفن مثل الطب والهندسة والتصوير والموسيقى ، إلى آخر ذلك يحتاج إلى درس طويل وتحصيل واف ، فإن الملكة وحدها لا تكفي ، والاستعداد بمجرده لا غناء له ، ما لم تؤازره المعرفة الصحيحة ، فلما ذا يعدون الأدب بدعاً يرونه مما يمكن الاستغناء فيه عن الآلة والأداة ؟ فلا يقتنعون ، أو على الأصح ، لا يستطيعون أن يروضوا أنفسهم ويوطنوها على احتمال المشقة

وأوثر أن أكون صريحاً فأقول : إن هذا تطرّ لا يعجبني ، وكسل لا أراه بشيراً بخير ، فيحسن أن أورد طائفة من الأمثلة تبين أي مشقة احتملنا ، وأي عناء صبرنا عليه ، وأي جهد تكلفناه في حداثتنا وصدر حياتنا قبل أن نتطلع إلى منازل الأدباء . وقبل ذلك أقول : إن مما نفعني وأغراني برياضة نفسي على التشدد والتجلد كلمة قرأتها ومنظر رأيته ، فأما الكلمة ، فقول كوبيت في كتابه « نصيحة إلى الشبان » إن على الشباب إذا أراد أن يكون رجلا كاملا لا نصف رجل أن يحلق ذقنه كل صباح بالماء البارد في الشتاء ، وجو انجلترا من أقسى الأجواء . فقلت لنفسي : إن مصر جوها معتدل ، فأنا أولى بهذه النصيحة وأقدر على العمل بها . وتوخيت بعد ذلك أن لا أستعمل إلا الماء البارد في كل حال — فنفسي هذا وقواني على احتمال المؤثرات الجوية وإن كان يدني خرعاً . وأما المنظر ، فكان شاباً من العمال راقداً على الحجارة في وقدة الظهر وشمس الصيف تضربه ، وكنت يومئذ في السابعة عشرة من عمري ، فقلت لنفسي : أنا أتململ لأن وسادتي ليست محشوة بريش النعام ، وسجادتي ليست من صنعة العجم ، وهذا الغلام ينام على الحجارة ولا يتأفف ولا يشكو ولا تمنعه خشونة المضجع أن ينام ملء جفنيه ... أما والله لا اتخذت بعد اليوم شيئاً وثيراً ! وما زلت إلى اليوم أوثر الخشن على الرقيق ، وليس في بيتي كرسي مريح أو فراش لين ، لأني أخجل أن أكون مترفاً .

ورضت نفسي على الجلد ، فاتفق في أول عهدي بدرس الأدب أن وقعت في يدي نسخة من ديوان « الشريف الرضي » مطبوعة في الهند ، ليس فيها بيت واحد يسلم من التحريف ، فما استطعت أن أفهم شيئاً ، وكدت أيأس ، ولكني تشددت وأقبلت عليه أعالج تصحيحه ، وقضيت في ذلك قرابة عامين وأنا أوفق قليلا وأخفق كثيراً ، حتى هداني الله إلى ديوانه المطبوع في بيروت ، وهو أصح وأسلم من الخطأ ، وإن كان لا يخلو منه ، فتشهدت واسترحت .

وحبب ابن الرومي إليّ ما قرأته له مبعثراً في كتب شتى ، فطلبت ديوانه ، فلم أجد إلا مخطوطاً — أعوذ بالله منه — في دار الكتب المصرية ، وكان فيها مخطوطان آخران ، ولكني لم أعط إلا أسوأ الثلاثة وشرها ، فاستنسخته وعكفت عليه سنوات طويلات المدد أحاول التصحيح والضبط ، فلم أبلغ من ذلك ما أريد ، ولكني بذلت غاية ما يدخل في الوسع

وكان من أول ما اقتنيت ، الأغاني طبع الساسي ، وهي نسخة